

# من فلسفة الحياة



تعاليم معرفة الذات  
الترجمة: محمود عباس مسعود

## خمسة محاور

مع أن بعض النصوص الروحية تم تدوينها أو تلقيها منذ آلاف السنين لا زالت مع ذلك تشكل أساساً متيناً لفلسفة الحياة والوجود الإنساني، وتنطبق على ظروف الناس وأحوالهم في يومهم هذا.

وتلك النصوص ذات الطابع العلمي هي ذات طابع عالمي أيضاً وترتكز على خمسة محاور جوهرية هي:

أولاً: شمولية العنصر الإلهي. فالخليفة بأسرها بدءاً من هذه الذرة الكونية الصغيرة التي ندعوها عالمنا ووصولاً إلى مليارات المجرات الممتدة امتداداً لا متناهيماً في رحاب الأبدية والفضاء السحيق هي واحدة في جوهرها. ولدى التحليل الدقيق يتضح أن نفس القوة الإلهية تعمل في هذه الظاهرة الكونية العجيبة.

وبالرغم من تعدد المظاهر في هذا المشهد الزماني - المكاني المدهش لا يوجد مع ذلك أي انفصال جوهري ما بين العقل والروح، أو المادة والطاقة، أو البشري والإلهي.

المحور الثاني هو أن هذا العنصر الإلهي الشامل موجودٌ - إنما محتجب - في ما ندعوه وعياً، لا سيما الوعي البشري الذي يبدو لنا ذروة التطور وأعلى مستوياته.

وكما تقول بعض الأسفار فإن الله يسكن في قلب كل الكائنات. وهذا يعني أنه بالرغم من كل الفوارق المتعلقة بالطبقة والمعتقد والعرق والدين والقومية والإيديولوجية فإن

الجنس البشري بكامله متماسك برباط جوهري عميق هو الرباط الروحي.

ومع هذا الرأي يمكننا الانتقال إلى المحور الثالث وهو أن جميع أعضاء الجنس

البشري ينتمون إلى أسرة واحدة ذات امتدادات.

وبمراجعة تاريخ البشرية على مدى آلاف السنين نجد صفحاته ملطخة بالدم لاعتبارات شتى. ولذلك ما لم يتم تبني فكرة الأسرة العالمية الواحدة فالأمل ضئيل في استمرارية الحضارة البشرية كما نعرفها على المدى المنظور. المحاولات الآلية لتوحيد الإنسانية سواء عن طريق الأمم المتحدة أو اليونسكو أو أي من المؤسسات الأخرى كلها فشلت لانعدام فلسفة باطنية موحدة.

المحور الرابع هو وحدة كل الأديان والمعتقدات. فالحقيقة واحدة مع أن الحكماء يدعونها بمسميات متعددة. صحيح أن تاريخ الإنسانية حتى هذه اللحظة غارق بالفتن والمذابح الرهيبة والصراع المحموم ليس فقط بين المجموعات الدينية بل بين مجموعات مختلفة ضمن الدين الواحد والقومية الواحدة.

الملايين قضوا على طرفي الصراع حاملين معهم حتى النفس الأخير قناعاتهم بأنهم كانوا يقاتلون في سبيل الحق والعدالة وفي سبيل الله بحسب مفهومهم لتلك المصطلحات. لكن التعاليم الروحية تقدم سيناريو مختلفاً. أفلا يجوز أن تكون تلك الفوارق أجزاء متممة لحقيقة توحيدية واحدة منبثقة من خلفيات أثنية، اقتصادية، جغرافية، وسياسية متباينة؟

ألا يشبه الناسُ العميانَ الذين لامسوا أجزاء مختلفة من الفيل ثم ثارت ثائرتهم ضد بعضهم لأن أوصافهم للفيل لم تكن متطابقة بالرغم من أنها كانت دقيقة بالنسبة لكل منهم؟ أما المحور الخامس والأخير فهو محور التعاطف نحو البشر وباقي مخلوقات الله. لقد انقرضت آلاف الفصائل وتصحرت مساحات شاسعة من الغابات وتسممت الأرض ومعها الهواء.. حتى خزانات العالم - البحار نفسها - تلوثت بشكل لم يسبق له مثيل. هذا يحدث بسبب عجز الإنسان عن إدراك روح التعاطف ورفضه النظر إلى الأرض لا بصفتها جرمًا ماديًا ينبغي استغلاله بالقوة بل ككائن روحي غذي وما زال يغذي الوعي منذ بلايين السنين، بدءاً من قاع المحيطات إلى ما نحن عليه اليوم. هذه الآراء هي بمثابة فلسفة بديلة للعصر الذري، وهي عالمية الطابع ويمكن أن تقدم رؤية صحيحة للوعي العالمي الجديد الذي يجاهد ليبزرغ بالرغم من كل النزاعات والخلافات التي تعكر وتسمم سماء هذا العالم.

## **تأثير الغذاء**

لنوعية الطعام الذي نتناوله تأثير كبير على الصحة والطباع والأمزجة.. الحسن منها والسيئ. من الصعب أن يكون المزاج رائقاً إن كان الشخص مريضاً. والناس يمرضون عادة نتيجة لتناولهم الأطعمة غير الصحية.

يحتاج الجسم إلى عناصر ومركبات معينة من أجل إعالته. لكن معظم الناس يحذفون عنصراً واحداً على الأقل من برنامجهم الغذائي اليومي. لهذا السبب يصعب التحكم بالمرض. الله لم يخلق المرض. الإنسان هو الذي يخلقه بسبب العادات المتواصلة للعيش الخاطئ.

الغلاف الخارجي للأرض يفقد معظم مقوماته ومحتوياته الجوهرية بسبب تقلبات الطقس، وهذا ينطبق أيضاً على الجسد. فالخلايا تتحلل باستمرار، ولهذا السبب يبقى المسكن الجسدي بحاجة دائمة إلى صيانة وترميم مناسبين وإلى النوعية الصحيحة للتغذية من أجل نمو الخلايا وصيانتها.

خلايا الجسد يجب أن تتجدد بالعناصر البناءة على أساس يومي. لدى بناء الدار، إن خلطت الرمل بكمية غير كافية من الإسمنت "الشومينتو"، أو جعلت الملاط من الماء والرمل فقط ستجد بعد فترة قليلة أن الإسمنت أخذ بالتفتت والتحات، بالرغم من عدم ملاحظتك الفرق في البداية. وبالمثل فإن أجسادنا تتحلل إن لم تحصل على النوع المناسب من الدم المحتوي على كميات صحيحة من العناصر البناءة للجسد. ونتيجة لذلك يبدأ الجسد بفقدان حيويته وتأخذ الأنسجة بالتحلل. وبالتالي ينكمش ويتجدد وتفقد الخلايا قواها الحيوية.

لذلك يجب الإنتباه جيداً لدى اختيار طعام الفطور والغداء والعشاء والتأكد من أن الجسم سيحصل على ما يحتاجه من مواد غذائية مغذية.

إن إدخال الطعام المناسب إلى الجسم أمر هام، لكن الأهم من ذلك هو إيقاظ قوة الله الهاضمة والسماح لها بالعمل دون إعاقة، ومراعاة التخلص من الفضلات حتى لا تتحول إلى سموم تؤذي الجسم وتتلف خلاياه. لذلك ينبغي مراعاة أمرين هامين فيما يتعلق بالتغذية الصحيحة والصحية: أولاً انتقاء المواد الغذائية الملائمة، وثانياً إيقاظ القوى الحيوية بواسطة تمرينات معينة.

## **إنسانية واحدة: ثقافة واحدة**

إن فكرة وجود إنسانية واحدة وثقافة واحدة تضع أمامنا هدفاً عملياً وتحتم علينا بذل المجهود وعمل كل ما يلزم لتحقيق ذلك الهدف.

وعبارة "إنسانية واحدة" تعني الإنسانية بكل ما فيها من أعراف وأعراف وأديان ولغات وتيارات وتطورات. فالإنسانية هي واحدة في جوهرها وطموحاتها وفرصها المتاحة، مثلما هي واحدة في إنجازاتها المادية والعقلية والأدبية والجمالية والروحية. لا مناص اليوم للعقل العلمي من الاعتراف بأن عملية التطور لم تتوقف بل هي جارية على قدم وساق. ومع أن هذا التطور لا يمكن ملاحظته بسهولة من الناحيتين الفيزيائية والفسولوجية في الجسم البشري، لكن من الواضح أننا لسنا مجرد كائنات حية بأجسام وطاقات حيوية. فنحن أيضاً كائنات عقلية.

فمن العالم البيولوجي دخلنا العالم النفساني.

الكثير منا يعيش في عالم الأفكار والتصورات والطموحات والإدراك الحسي أو الحدسي، وقد يكون هناك من يعيش في عالم النشوة الروحية التي يختبرها اليوغيون والصوفيون.

العملية تبدو منطقية لأننا كائنات واعية وعلى دراية بوعينا ولنا القدرة على التعامل مع ما ندعوه ضميراً. وهذا يعني أننا شركاء في تطورنا الطبيعي المتواصل. إنها مغامرة جديدة وفريدة من نوعها، لكنها مغامرة يدعونا إليها كياننا بأسره لأنها ستقرر ماهيتنا وما سنكون عليه.

إن قطعة الصوان هي عمل من أعمال الطبيعة، لكن شحذها واستعمالها كأداة هو جزء من ثقافة الإنسان.

المغارة هي كهف طبيعي، لكن صور الحيوانات المنحوتة على الصخور داخل الكهوف هي فنّ وجزء لا يتجزأ من ثقافة الإنسان.

فأينما وحيثما استعمل الإنسان ملكاته وقواه المتعددة.. بدنية أو نفسية أو أدبية أو جمالية أو روحية لعمل أو اختبار شيء ما، يظهر قدرته على التفاعل مع الحضارة والثقافة العالمية. ولولا تفعيل تلك الطاقات لبقيت هاجعة كما في الطور الحيواني. هذه المقدرة كامنة في الإنسان. ومهما كانت طبيعة تلك الثقافة وأينما وجدت تبقى ثقافة إنسانية وتراثاً مشتركاً للبشرية جمعاء.

وإذ نقرر هذه الحقيقة بأن الإنسانية واحدة وتراثها مشترك، لا بد أن ننقب في ماضيها وحاضرنا ونستشرف أيضاً مستقبلنا.

لقد بلغ الإنسان مرحلة النضج حيث يمكنه تطوير نفسه والنهوض بها إلى مستويات أرق وأرقى. ولا يمكن له أن يظل قانعاً في الجري مع تيار الزمن. فهو كائن مسؤول على هذا الكوكب الأرضي.

وبخلاف الكائنات الأخرى، فهو ليس واعياً وحسب، بل يمتلك الوعي بالذات وهو أيضاً على دراية بوعيه الذاتي. وباختصار إنه يعلم ويعلم أنه يعلم. لا يمكنه أن يتدّرع بالجهل لأنه يعرف ما هو قادر عليه فيما لو أراد أن يفعل ما يريد فعله.

إن لم يفعل إرادته فالذنب ذنبه والضعف ضعفه.

قد يقول أنه حتى عندما يستخدم إرادته لا يمتلك مع ذلك القدرة على تحقيق ما يريده. لكن تلك حجة واهية لأنه عندما يريد سيوظف قوى هاجعة وطاقات بانتظار العمل. وعلى قدر الإرادة التي يملكها يحصل على القوة التي يحتاجها.. (حقاً أن على قدر أهل العزم تأتي العزائم...)

هذا ما يُتوقع من الإنسان المسؤول أن يفعله.. وسيفعله ما دام يؤمن بأنه واجب مقدس يستحق الإهتمام والإنجاز (مشيئتها خطئاً كتبت علينا... ومن كتبت عليه خطئاً مشاهداً).

ما من شك في أن الإنسان في تطور متواصل. فالله أو الطبيعة أو القوة الكونية أو ما يرغب الإنسان في اعتباره أصل الحركة ومنبع الطاقة في الوجود لا يتوقف عن العمل لحظة واحدة.

وفي هذه المرحلة من نشوء الإنسان فإنه مدعو للمشاركة في تطوره الذاتي لمساعدة الطبيعة بدلا من الهبوط انحداراً من شلال النشوء والإرتقاء كقرمة من الخشب.

إن فكرة إنسانية موحدة ليست من نسج الخيال بل من واقع الحال. فكلما تطورت وسائل  
المواصلات والإتصال والعلوم والتقنيات تتوسع مدارك وعينا بالتوازي مع اكتشافاتنا  
فنشرع بمحبة كل ما يقع وراء حدود بينتنا الضيقة ونعمل جاهدين على التواصل مع  
غيرنا بكل الوسائل المتوافرة. ولا عجب بأننا اليوم على معرفة بكل ما يحدث للناس في  
هذا العالم حتى في أبعد الدول وأكثرها تخلفاً.

ومع هذا التواصل الحيوي بين أبناء الإنسانية الواحدة يحدث التعاطف وتتقارب الرؤى  
وتختزل المسافات ويصبح العالم قرية واحدة (بحسب ما نلمس إرهاباته.. بل ونختبره  
في عصرنا الحاضر).

والسلام عليكم